أسهمت بدور تنويري بارز في انتصار الثورة والدفاع عنها

«هنا صنعاء».. صوت الأحرار المتدفق

أسهمت إذاعة صنعاء بدور تنويري كبير في إنجاح ثورة 26 سبتمبر والدفاع عنها وبدء عهد جديد في اليمن بإعلان ميلاد الجمهورية العربية اليمنية.. وكان دورها التنويري لا يقل أهمية عن دور الرصاص والقذائف التي تنطلق من فوهة البنادق والمدفعية باعتبارها الوسيلة الاعلامية الوحيدة الموجودة حينها والقادرة على الوصول إلى الناس رغم ساعات البث المحدودة للإذاعة إلا أنها ساهمت في خلق الوعي في المجتمع وفي الاعداد للتحول السياسي الذي ظل اليمنيون ينتظرونه طويلا. ومن داخل استديوهاتها البسيطة حينها انطلقت بشائر الانتصار لارادة الشعب اليمني معلنة إزاحة حقبة الظلم والطغيان والعزلة، مدوية كالصاعقة وهي تعلن بيانات الثورة والأناشيد الوطنية الحماسية التي تراقصت مع أنغامها قلوب اليمنيين التواقين للتغيير فرحين مستبشرين بانبلاج صباح جديد في اليمن بعد ليل طويل ....

عرف شمال الوطن دخول أول جهاز إرسال لاسلكي 1946 م عندما حصل السيف عبدالله أحد أبناء الامام يحيى على جهاز إرسال واستقبال عسكري لاسلكي لا تزيد قوته على 5 كيلووات عقب زيارته إلى امريكا اهدته بعثة أمريكية عسكرية زارت اليمن في العام نفسه وتم تحويل جهاز الارسال إلى جهاز اذاعي وبه افتتحت إذاعة صنعاء في عام 1947 م بدون أي تجهيزات فنية وتقنية. وكلف الامام يحيى ابنه سيف الاسلام القاسم بالاشراف عليها وعلى برامجها. وكانت البرامج تقتصر على بعض سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية وغيرها وكذلك الأخبار المحدودة المحلية والعربية بجهاز ارسال صغير لا تتجاوز قدرته 13 ك وات وكانت البرامج المذاعة تقتصر على (القرأن الكريم، أحاديث دينية + تواشيح، ثم تقديم بعض المارشات العسكرية من الموسيقى النحاسية التي خلفها الأتراك بعد رحيلهم من اليمن بالاضافة إلى تقديم بعض الأناشيد على الهواء + اخبار القصر الملكي)..

استطلاع وإعداد/ عبد الملك الشرعبي

دعم ثورة 48 وتوقيف البث

استمر الارسال الإذاعي لإذاعة صنعاء على هذا النحو حتى عام 1948 م حين أوقف البث عقب فشل ثورة 1948 م إلى أجل غير محدد نظرا للدور الإيجابي الذي قامت به الإذاعة في مؤازرة الثوار واستمر هذا التوقف ثماني سنوات، بعد أن واكبت أول ثورة في الوطن العربي وهي ثورة 1948 م، وبث من ميكرفونها بيانات ثورة 48 وتعليماتها وتوجيهاتها للجماهير، فكانت المنبر الذي يتحدث منه الأحرار من الأدباء والمفكرين لمقارعة الاستعمار البريطاني في جنوب الوطن ودعم الكفاح المسلح .ومن الأعمال الشاهدة على ذلك نشيد »زمجري بالنار يا أرض الجنوب« كلمات شاعر اليمن الأول الاستاذ عبدالله البردوني وأداء الفرقة الموسيقية العسكرية.

- وفي عام 1955 م كان افتتاح الإذاعة الثاني بعد توقف استمر نحو 8 سنوات على محطات ارسال نوع جنرال اليكتريك موجة قصيرة بقدرة 25 كيلو وات حيث تم البث لمدة ساعتين وربع يوميا حتى عام 1958 م وبعدها تم تعديل ساعات البث إلى اربع ساعات مقسمه على فترتين فى اليوم.. . وتوسع نطاق الإذاعة واصبح البث يبدأ بعد ظهر كل يوم من الساعة الثالثة والنصف عصرا حتى الخامسة والنصف ومن السابعة حتى التاسعة مساء بعد ان تم تجهيزها بوسائل حديثة وبدأت بإرسال البرامج اليومية والاسبوعية وبدأ الجمهور الذي كان يزداد يوماً بعد يوم في متابعة الارسال باهتمام كبير وكان يغلب على برامجها في هذه الفترة الاتجاه الديني والسياسي.

ومع شروق أول يوم لثورة 26 سبتمبر 1962 م كانت تبث الإذاعة من 6 صباحا حتى العاشرة ثم يستأنف البث من الساعة الواحدة ظهرا.

دور تنويري

فرض نظام الحكم الإمامي رقابة شديدة على الإذاعة وما تقدمه من فقرات برامجية لكن كانت هناك كوكبة مبدعة اسهمت في تطور الإذاعة برامجيا واداريا 0 كلما سنحت لها الفرصة للتطوير .. فأثناء سفر الامام احمد إلى ايطاليا عام 1958 م قدمت إذاعة صنعاء عدة برامج عن اوجه الظلم والاستبداد في الحكم وما وصلت اليه دول الجوار من تطور والتركيز كذلك على ما تعانيه المحافظات الجنوبية من الوطن الواقعه تحت الاحتلال البريطاني والمناداة بضرورة خروج المحتل ليعود الوطن موحدا من خلال بعض البرامج الموجهة لابناء الوطن في الجنوب ومؤازرتهم في مقارعة الاستعمار والدعوات المتواصلة بضرورة إنهاء الاحتلال وتحرير الوطن من الاستعمار البغيض.

يوم 25 سبتمبر

في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الأربعاء 26 ربيع الثاني 1382 ه الموافق 25 سبتمبر 1962 م كما يقول الاستاذ عبد الله حمران "كنا متواجدين في الإذاعة انا وعبدالعزيز المقالح - عبدالوهاب جحاف وعدد آخر من الزملاء توافدوا إلى الإذاعة:، والبث الإذاعي بدأ مبكراً من اجل إذاعة البرقيات التي تتوارد على الإذاعة بمناسبة تنصيب محمد البدر إماماً، مقترنة بتعاز لوفاة والده الامام احمد وانتهى وقت البث وغادر بعض الزملاء، ظللت في مكاني، فقد كان لدي علم بأن ساعة الصفر اقتربت والثورة ستقوم تلك الليلة بل ربما يتم الاستيلاء على الإذاعة قبل انتهاء الفترة الإذاعية المسائية التي تبدأ من السادسة والنصف، كنت مستغرقاً في تصورات كثيرة وكان البعض من الإخوان يدخلون الغرفة يشربون الشاي..

ويضيف حمران، في شهادته المدونة في كتاب »ثورة 26 سبتمبر« دراسات وشهادات للتاريخ الصادر عن مركز الدراسات والبحوث والتي كشف من خلالها الأدوار البطولية لمذيعي وفنيي إذاعة صنعاء قبل وأثناء تفجير ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة، حيث يقول: كان المقالح

• مسجلات ريل محمولة وأجهزة اتصالات ميدانية

واكبت إذاعة صنعاء ثورة 48 وأذاعت بياناتها وكانت البشير الأول لميلاد ثورة 26 سبتمبر

وجحاف يبدو عليهما القلق وهما يدخلان ويخرجان من الغرفة التي كنت فيها بدار الإذاعة، فهما بالطبع يعلمان كما أعلم أن الثورة ستقوم ربما بعد ساعات لكنهما لم يكلماني بشيء ولم أكلمهما أنا أيضاً وعند الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة تقريباً، وأنا في نفس المكان سمعت كلاماً عالياً في مكتب المدير العام الأستاذ أحمد المروني ميزت صوت الأخ عبدالوهاب جحاف وصوت المدير العام، ولم أميز الكلام فذهبت إلى مكتب المدير والضابط حسين الحرازي موجود في حالة انفعال وعصبية وهو يقول: لماذا يتحدث معهم في الظلام وما هو الغرض؟ ويقسم إنه سيبلغ الإمام وكان رد عبدالوهاب جحاف وهو أيضا منفعل أنهم من بلادي وأعرفهم وكنت أسألهم عن أحوال البلاد وأحوالهم، وأنا يا حرازي مذيع الإمام .. احترامي وكرامتي من احترام الإمام، والأستاذ المروني يتدخل ويؤكد للحرازي أن عبدالوهاب يكن للإمام كل المحبة والتقدير وانه من خيرة الشباب المحبين للبدر (الإمام) وانه عاقل ولا يريد أن يحصل بينه وبين أحد أي خلاف.. الخ ثم طلب للحرازي الشاي وتصالح الاثنان .. وكان الضابط الحرازي حينها أميرا للمفرزة إي (حراسة الإذاعة) عينه البدر قبل ثلاثة اشهر.. ولما عرفت القصة قلت في نفسي: أن عبدالوهاب لاشك مكلف بهؤلاء الحرس وانه كان عندما لقيه الحرازي يبلغهم ويؤكد لهم قيام الثورة ويتأكد من موقفهم وتعاونهم مع الثورة وان هذا امتداد للقاءات سابقة، تمت بينه وبينهم ولاشك انه قد اتفق معهم.

ساعة الصفر والاستيلاء على الإذاعة

ويواصل الأستاذ عبدالله حمران سرد وقائع تلك الليلة التي سبقت إعلان الثورة ويقول: طلب مني المدير العام الأستاذ احمد المروني أن آخذ عبدالوهاب معي ونذهب إلى منزله، فوافقت وطلعت الدور الثاني فوجدته واقفا مع الأخ عبدالعزيز المقالح وقلت له: هيا نخرج قال لي: لا أنا سأتأخر لم اكرر عليه، وخرجت لتوي وفي طرف السور الشرقي قرب المحول الكهربائي وأنا متجه إلى البيت على دراجتي استوقفني احد الزملاء - وسألني بحدة عجيبة: أين جحاف لماذا لم يخرج ويذهب إلى بيته قلت له: إنا لم اخرج إلا لأنني اشعر ببرد وتعب وألا فالواجب نبقى في الإذاعة، عبدالوهاب وعبدالعزيز والمدير العام والزملاء الآخرون باقون فأنت تعرف الظروف صاح قائلاً: أنتم متآمرون.. وسأذهب ابلّغ الإمام واعملها الليلة مجزرة . تركته ومضيت وكان زميلان أو أكثر خلفنا ولاشك في أنهم سمعوا ذلك واستنكروه، . كان الوقت الساعة العاشرة والربع تقريباً، أو بالتوقيت الزوالي الرابعة والربع عصرا خرجت ألف على دراجتي ولم اخشَ شيئاً ومررت من جانب الإذاعة وكل شيء عادي وبعد نصف ساعة توقفت الإذاعة عن البث وسمعت الجميع مذيعين ومهندسين خارجين من الإذاعة ولم اسمع صوت عبدالعزيز المقالح أو عبدالوهاب جحاف.. انتظرت قليلاً علي اسمع إي شيء حولي وبعد نصف ساعة بالضبط سمعت قذيفة مدفع دوت من أرجاء العاصمة وفي نفس الوقت سمعت حركة دبابات وسيارات في رأس الشارع وبعد دقائق سمعت وصولها إلى باب الإذاعة وسمعت نزول جنود وحديثاً بينهم وبين حرس الإذاعة ولم أجرؤ على الاقتراب وهدأ الجو في الإذاعة ولكن بدأت المدافع تقصف دار البشائر والرشاشات تشارك في القصف، هدأت المدافع والرشاشات وبعد الاستيلاء على الإذاعة والهدوء الذي أعقبه سمعت أربع أو خمس طلقات بندقية داخل الإذاعة، اعني داخل السور - لم استطع أن اعرف مصدر تلك الطلقات ولا إلى أية مكان داخل السور اتجهت لكنني اعتبرتها طلقات شر مما زاد من يقيني وخوفي: أصحاب البيوت المجاورة للمسجد في النوافذ يتساءلون ويتابعون أين تتجه طلقات المدافع والرشاشات.

وعند الساعة الرابعة فجرا تقريبا وقد طلع النور ذهبت إلى الإذاعة ولم أجد صعوبة في الدخول، فقد كان هناك احد الحرس السابقين يعرفني واحد الضباط أظنه طاهر الشهاري أو محمد الوادعي أو عبدالله الراعي لا أستطيع أن اذكر من هو بالضبط سألت عن الاخوين عبدالوهاب جحاف وعبدالعزيز المقالح قال الشاويش: (إنهما هنا).

وكان الملازم صالح الاشول قد كلف سيارة لإحضار حمود هادي مراد ومحسن الشعبي الأول مهندس الإرسال والثاني مهندس الرقابة بناء على طلبنا انا وجحاف وبعد وصولهما طلبنا منهما بالاضافة إلى عبدالله الهمداني تشغيل الإذاعة كل في مجال اختصاصه فطلبوا امرأ كتابياً ..فقال لهم عبدالوهاب هذه ثورة لا لزوم للأوامر الكتابية لازم تشغلوا الإذاعة بلا تأخير.. أصروا على الأمر الكتابي من مسؤول فحررت لهم الأمر ولكن مفتاح باب محطة الإرسال كان عند المهندس علي الأبيض، فأبلغنا الملازم صالح الاشول بأن مفتاح باب الإرسال عند المهندس علي الأبيض، وكان عنده الضابط حسين الحرازي وطلب الأخ صالح منه المفتاح فرماه له من النافذة القبلية من الدور الثاني فأخذه واستلمه حمود مراد الذي أطلق عليه حسين الحرازي رصاصة لم تصبه وذلك إثناء فتحه للباب ..توجهت إنا والأخ عبدالوهاب إلى الاستديو ودخلنا الإدارة وجاء عبدالعزيز المقالح ودخل الإدارة وذلك لتلقي أية مكالمة أو أوامر أو بلاغات، وعقب الاستيلاء على الإذاعة طلعت إنا والأخ عبدالوهاب إلى الاستديو والأخ عبدالعزيز المقالح في الإدارة كان الوقت حوالي السادسة والربع وجاء الملازم علي قاسم وهو المسؤول عن إذاعة القاهرة أو صوت العرب لأنهما على حد تعبيره ربما يذيعان خبر قيام الثورة إذ انه قد سبق الاتصال وإرسال الخبر وكان يوجد جهاز راديو في غرفة مجاورة لدى الأخ محمد المسوري مدير عام المكتبة وكان قد وصل لتوه، فدخل الأخ علي قاسم عند جهاز الراديو يستمع أخبار القاهرة أو صوت العرب.

• أول ميكرفون إذاعي ومنه اذيع بيان الثورة

هدير الصوت عبر الأثير أخرس صوت المدفعية الملكية وطلقات الرصاص

هنا صنعاء

عندما بدأ المهندس محمد الشعبي يضع الشريط (مارش) عسكري واخذنا ثلاثتنا عبدالوهاب ومحمد عبدالله الفسيل الحديث نستعد لما بعد المارش طلب الأخ محمد الفسيل أن يبدأ الحديث هو لأنه قد تعب وتعذب في سبيل هذه اللحظات أو هذا اليوم قال الأخ عبدالوهاب: لا مانع وقلت وأنا بعده قال عبدالوهاب موافق وأنا الثالث بدأ الأخ محمد الفسيل يذيع هنا صنعاء إذاعة الجمهورية العربية اليمنية إذاعة الثوار .. إذاعة الأحرار.. الخ ثم أذعت فقرة معبرة وأذاع جحاف فقرة ملتهبة وكان هناك أنشودة الله اكبر، كان محمد الشعبي قد أخفاها قبل اشهر فطرحها ثم توالت الفقرات وجاء الأخ عبدالعزيز المقالح ونزل الأخ عبدالوهاب الإدارة بدلا عنه للمتابعة أو استقبال المكالمات والأوامر من القيادة . وبقينا انا وعبدالعزيز المقالح ومحمد الفسيل نردد ونذيع الفقرات وإعلان الفرحة للشعب والأخ علي قاسم المؤيد يذيع أيضا بيانات أو بلاغات صغيرة وبدأت برقيات التأييد والمباركة بالثورة تصل من المحافظات وكانت أول أولها برقية من تعز من محمد الحمدي واحمد الرضي والثانية من حجة ثم توالت برقيات التهاني .. وفي هذه الاثناء أصدر مجلس القيادة أمراً بأن يتولى إذاعة الفقرات والبرقيات عبدالعزيز المقالح وعبدالوهاب جحاف وعبدالله حمران فقط.

وعبارة »هنا صنعاء« كما يقول الأديب والشاعر عباس الديلمي رئيس قطاع الإذاعة السابق لها علاقة كبيرة وحميمة بحركة التنوير في اليمن وكون إذاعة صنعاء تعتبر من اقدم الاذاعات العربية فهي رابع او خامس إذاعة عربية على مستوى الوطن العربي من حيث تأسيسها وبداية بثها الذي يعود إلى العام 1946 وكانت بمثابة أول مؤسسة حديثة تدخل إلى البلاد، لذلك فقد ارتبطت عبارة »هنا صنعاء« بأعلام اليمن من المفكرين والأدباء امثال عبدالله البردوني واحمد المروني وعبدالعزيز المقالح وعبدالله حمران وعبدالوهاب جحاف ومحمد الشرفي وغيرهم ممن صاروا إعلاماً في سماء اليمن .. وعندما نقول ان إذاعة صنعاء ارتبطت بحركة التنوير في اليمن فإن ذلك يعني ان دور إذاعة صنعاء لم ينحصر في نشر الوعي والمعرفة بين صفوة الناس كما ولم ينحصر دورها على انها أول وسيلة إعلامية تدخل البلاد وانما كانت لإذاعة صنعاء علاقة وطيدة جداً بالحركة الوطنية في البلاد ويكفي ان العاملين المدنيين في الإذاعة كانوا هم المدنيون الوحيدون الذين كان لهم علاقة بتنظيم الضباط الاحرار والذين كانوا على علم بما سيقدم عليه تنظيم الضباط الاحرار عشية ثورة 26 سبتمبر عام 1962 م ولازال البعض من هؤلاء الاخوان على قيد الحياة ومنهم الاخوة عبدالعزيز المقالح وعبدالوهاب جحاف ومحمد الشرفي وغيرهم.. من الذين استغلوا تواصلهم مع الناس فعملوا على الترويج والتهيئة للحركة الوطنية وان كان ذلك بصورة غير مباشرة وهذا ما تدل عليه بعض البرامج الاذاعية الوثائقية التي يعود تاريخها إلى قرابة نصف قرن.

وإذاعة صنعاء كانت أول من نادى عبر الأثير بدحر المستعمر من جنوب الوطن وكانت أول وسيلة إعلامية تقارع المد الاستعماري في جنوب الوطن من خلال اصوات وكتابات العاملين في الإذاعة أمثال عبدالله حمران ومحمد عبده نعمان رحمهما الله ولازلنا كما يقول الديلمي نعتز ونفتخر بتلك الأعمال الإذاعية الوطنية التي ما تزال محفوظة في إرشيف الإذاعة..

وعموما كانت إذاعة صنعاء وسيلة الإعلام الوحيدة التي تغطي كل الأحداث والاخبار التي يشهدها الوطن وكانت بمثابة مطبخ السياسة الإعلامية للجمهورية بشكل عام حيث لم يكن هناك وكالة انباء مستقلة وايضاً لم تكن الصحافة المقروءة تغطي كل المدن اليمنية في السنوات الأولى للثورة ولم يكن هناك سوى إذاعة صنعاء التي تولت مسؤولية ايصال صوت الثورة والجمهورية إلى جميع المواطنين في داخل الوطن وخارجه كما تولت مسؤولية الدفاع عن الثورة والجمهورية والنظام الجمهوري ودحض الاكاذيب والاشاعات المعادية للثورة والجمهورية خلال ملحمة السبعين يوماً.

• أحد المباني القديمة لإذاعة صنعاء «مفرزة الحراسة» ويبدو خلفه الإرسال الإذاعي